جامعة عين شمس
كلية الآداب – الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها
شعبة الدراسات الأدبية

بحث بعنـــوان :

الفكر العقائدى فى شعر شوقى

مقدمة من الباحثة :

رحـاب فوزى الرشيدى

لنيل درجة الدكتوراة فى اللغة العربية وآدابها شعبة الدراسات الأدبية

١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م

إشـــراف :

أ. د / محمد إبراهيم الطاووس

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ

د / هدى عطية عبد الغفار

مدرس الأدب والنقد

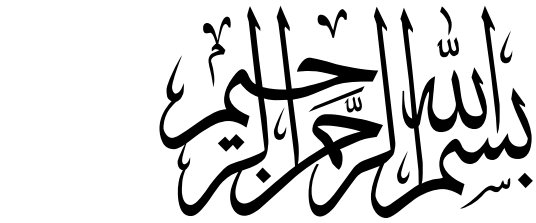

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

(الأعراف: ٤٣)

الحمد لله القديم الباقى ذى العرش والسَّبعِ العُلا الطِّباق
المَلِكِ المنفردِ الجبَّار الدائمِ الجلالِ والإكبار
وارثِ كلِّ مالكٍ وما مَلَكْ ومُهلِكِ الحيِّ ومُحي مَن هَلك
وأَفضلُ الصلاة والسلامِ على أَجَلِّ رسُلِ السلام[1]

(١) دول العرب وعظماء الإسلام، ص٥، أحمد شوقى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٠م

المقـــــدمـــــة

عندما توجهت الدراسات الأدبية والنقدية إلى الجانب الدينى في شعر شوقى لم تخرج عن دائرة إسلامياته، وإذا ما خرجت خرجت مصوِّبة سهام النقد لكونه شاعرًا مسلماً مولعاً – مثلاً – بالمسيحية والمسيح.

لكن ما لفت نظر الباحثة في هذا الجانب هو نظرة شوقي الاجتماعية للدين، فما كان الدين عند شوقى إلا حاجة اجتماعية رافقت البشرية منذ النشأة الأولى، حرَّكتها الرهبة أو الرغبة؛ الرهبة من إله خفى متحكم في كل الظواهر الكونية من حوله، أو الرغبة في نيل رضاه وكسب عطاياه رغم جهلهم به، ومن هنا – من وجهة نظر شوقي– كانت العبادة، لذلك قال شوقى مبررًا سذاجة هذه العقول :

ربِّ، هذِى عقولُنا فى صِباها نالها الخـوف واسـتباها الرجاء[١]

ومن خلال تركيز الضوء على " الفكر العقائدى عند شوقى " نجد أن شوقى يبحث دائمًا عن مواطن الالتقاء بين العقائد المختلفة سماويةً كانت أم غير سماوية، ولا يكف عن إيجاد قنوات اتصال إنسانية بين تلك العقائد، وكان الخُلُق عند أمير الشعراء هو جوهر الدين، وهو المنطلق الذى سعى من خلاله لإيجاد تلك القنوات لإقامة علاقات إنسانية بعيدة عن التعصب؛ ذلك التعصب الذى يفسد البشرية إلى جانب ما يحمله من خسائر مادية ومعنوية على المجتمع كله. لذلك كان شعر شوقى محاولةً لغلق باب المفاضلة بين العقائد، فالدين لله وما الرسل إلا دعوة لنشر هذا الدين (دين الله) بين البشر : فليس الأساس فقط الإيمان بهم جميعًا؛ بل هى دعوة للقبول والتعامل مع الآخر : فالدين عند شوقى :

ما الدينُ إلا تراثُ الناس قبلكُمُ كلُّ امـرىءٍ لأَبيــه تابعٌ تالى[٢]

وبذلك لم تقتصر نظرة شوقى على قضية قبول الآخر دينيًا على أنها حاجة اجتماعية للاستمرارية والتعايش فقط. وإنما كانت هذا الفكر – الذى قام على

---

(١) الشوقيات جـ١ ، ص٢٤

(٢) الشوقيات جـ٣ ، ص ١٢٥

الخلق الإنسانى– هو أساس الحكم والنهوض الحضارى بالمجتمع لأعلى درجات الرقى والتقدم فيقول :

المـلكُ تحتَ لسـانٍ حولـه أَدبٌ وتحتَ عقلٍ على جَنْبَيْه عِرفان
الملكُ أَن تتلاقَوْا في هوى وطنٍ تفـرَّقت فيـه أَجناسٌ وأَديـان[1]

والتى وضع لها قواعد كانت ركيزتها :

لا تُماروا النـاسَ فيما اعتقـدوا كلٌّ نفـــسٍ بكتـابٍ وسـبيل[2]

وقوله :

قل إذا خاطبتَ غير المسـلمينْ لكمـوٍ دينٌ رضِيتُـم وَلْىَ دِينْ
خـلِّ للدَّيَّـانِ فيهـم شـأنَـهُ إنـــه أَولـى بهـم سبحانـه![3]

ومن هنا كان اختيار الباحثة " الفكر العقائدى في شعر شوقى " كى يكون عنواناً لهذا البحث، كما أن هناك دافعاً آخر لاختيار الموضوع ألا وهو شخصية شوقى نفسه التى جسدت استنارة عقلية ثقافية ودينية؛ فهو شخصية لم يمنعها حب الدنيا من الانشغال بالدين.

تزعم الباحثة أن لشوقي فلسفةً خاصة في الدين، وستحاول الباحثة إماطة اللثام عن تلك الفلسفة الخاصة بالفكر العقائدي في شعر شوقي من خلال هذه الدراسة، التى اعتمدت المنهج التحليلى الوصفي القائم على استقراء شخصية الشاعر وثقافته التى عكست ثقافة عصره وأثر ذلك في فلسفته الفكرية وخاصةً فيما يتعلق بالفكر العقائدي وذلك من خلال أشعار شوقي الدينية وكل ما يعكس فكراً عقائدياً لديه.

جاءت الدراسة في تمهيدٍ وثلاثة أبواب متمضنةً عدة فصول تفاوت عددها وحجمها في كل فصل وفقاً لطبيعة الدراسة وتوافر المادة العلمية لها من شعر شوقي، وهذا بدوره جعل الأبواب متفاوتة الحجم وفقاً لطبيعة الدراسة، وتفصيل ذلك كما يأتي :

---

(١) الشوقيات، جـ٢، ص١٠٢ – ١٠٣

(٢) الشوقيات جـ٤، ص٥٣

(٣) الشوقيات جـ٤ ، ص ٤٠

– التمهيد ويوضح مفهوم العقيدة ومفهوم الدين وعمومية أحدهما على الآخر مع إلقاء الضوء على فلسفة الدين عند شوقى، والتى عكست أهم ما ميز فكر شوقى العقائدى، ثم إشارة إلى أهم أوضاع المجتمع الدينية والاجتماعية والتى كان لها تأثيرٌ واضحٌ على هذا الفكر، وذلك من خلال كتاب " الإسلام وأصول الحكم " للشيخ على عبد الرازق القاضى.

– الباب الأول: وعنوانه " قضايا الفكر العقائدي عند شوقي" وجاء فى هذا الباب في خمسة فصول حيث يحمل كل فصل قضية من قضايا الفكر العقائدى عند شوقى كما يأتي:

الفصل الأول عن قضية "التوحيد" وفيها يتتبع شوقى الدين منذ صبا العقول، مؤكدًا فكرة التوحيد داخل النفس البشرية ومحاولات الوصول للإله خالق الكون بصوره المختلفة والتى بدأت بعبادة مظاهر الطبيعة، وأتحدث فيها عن عبادة " نهر النيل "، ثم عبادة البشر، وكانت " إيزيس " نموذجًا لها، ثم عبادة الحيوان، وكان " أبيس " نموذجها.

أما الفصل الثانى فكان قضية " الإيمان بالكتب والرسل " وهى أهم ركائز الفكر العقائدى عند شوقى حيث آمن شوقى باليهودية ونبى الله موسى عليه السلام، ووجدنا إيمانه واضحًا في أبياته الشعرية، وإن كان يعمد – في أحيان كثيرة – إلى الإيجاز إلا أنه لم يغفل أهم جوانبها (التوحيد – موسى – فرعون – مصر – هارون). ثم المسيحية وعيسى ابن مريم عليه السلام، وكانت أكثر وضوحًا وتفصيلاً من اليهودية، كما أكثر شوقي بشكل واضح من الإشارة إلى الحروب الصليبية التى أساءت للدين المسيحي، وفى حديثه عن المسيحية لم يغفل من جوانبها شيئًا حيث تحدث عن (المسيحية – مريم العذراء – عيسى (عليه السلام) – الصلب – الصليب – البعث)، ويختم الفصل بخاتمة الرسالات (الإسلام) وخاتم الأنبياء محمد ﷺ وقد تناول شوقي رسالة الإسلام بتفاصيل دقيقة حيث تحدث عن (ميلاد الرسول – يتمه – نزول الوحى – غار حراء – القرآن الكريم – عالمية الإسلام).

أما الفصل الثالث فتناول قضية " الأخلاق " وجاء في ثلاثة مباحث خرجت من خلالها عن نظرة النقاد والأدباء العامة عن الأخلاق في شعر شوقى وتناولت في المبحث الأول (تقويم الخلق)، أما الثانى فهو (التربية الأخلاقية عند النشء)، لأنه بالفعل جانب لم ينل حظه من البحث والدراسة، حيث حرص شوقى أن يكون لأطفال مصر ما لأطفال العالم من أدب، يشمل العلم والقصص والخُلق الذى يساهم في تكوينهم تكويناً راشداً سليماً، وإن لم يتسع البحث لأن يوفيه حقه من الاهتمام والدراسة فلأن الباحثة تأمل أن يكون ذلك بداية لآخرين يهتمون بهذا الجانب. وكان المبحث الثالث تحت عنوان "خلق استخدام السيف في الدين" والتى كان خير من يمثلها عند شوقى أنبياء الله ثم تبعهم حملة الدين أو كما كان يراهم " حماة الإسلام " الخلفاء العثمانيين وكيف كانت نظرتهم للسيف، ماذا حمل من معانٍ في نفس شوقى وفى نفس الدين ؟

ويأتى الفصل الرابع بقضية لم تكن مألوفة في الكتابات عن شوقى وهى (ملامح للتصوف في شعر شوقى) وتزعم الباحثة أن الجميع يكاد يجزم أن شوقى لم يكن زاهدًا إلا أن الباحثة رأت أنه لايمكن التغافل عن بعض هذه الملامح والتى كان أولها : " وحدة الدين "، وكيف أن الاحترام والتقدير كان أساس التعامل بين الرسالات، وقارنت الباحثة بين فكر شوقى في وحدة الرسالات وفكر ابن عربى الذى اعتقد كل العقائد على وجه الأرض وآمن بها، ثم يأتى مبحث " الإنشغال بالموت " وما وراءه، والذى بدا ظاهرًا في كثرة الأسئلة الموجهة للموتى في مراثيه، ثم يأتى " التوسل " ويُختم الفصل بإيمان شوقى بالقضاء والقدر والدعوة له لكونه ركنًا من أركان الإيمان.

والفصل الخامس والأخير من الباب تناولت فيه الباحثة قضية " قبول الآخر " والتى حاولت من خلالها توضيح معنى قبول الآخر دينيًا وتقديم خير نموذج يمثل هذا القبول وهو المجتمع الذى نشأ به شوقى، وكيف جسدته مصر عبر عصورها المختلفة.

– الباب الثانى: وعنوانه " بنية الظواهر الأسلوبية في بلاغة التراكيب في شعر شوقى العقائدى " وجاء هذا الباب في فصلين الأول منهما: " بنية التراكيب

اللغوية " والذى من خلاله يتضح كيف تعامل شوقى مع التركيب اللغوى لجمله وعباراته المعبرة عن فكره العقائدى. والثانى هو " بنية الإيقاع " وتمثلت فى إطارين إطار خارجى يمثله الوزن والقافية، وإطار داخلي متمثل في التجنيس والتصريع والتكرار وحسن التقسيم ليكون به الموسيقى الداخلية في البيت إلى جانب موسيقى القصيدة الخارجية.

وقد ظهر للباحثة جلياً أن هذا الباب عكس مدى حرص شوقى على الالتزام بقواعد القدماء في النظم والتى أساسها البحور الخليلية، فهو لم يسع إلى أى تجديد في تلك القواعد كصنيعة الشعراء المحدثين.

– الباب الثالث: عنوانه " التناص الدينى في شعر شوقى " ويبحث هذا الباب عن مدى تواصل شوقى مع النصوص المقدسة (القرآن– التوراة– الإنجيل)؛ وجاء هذا الباب في ثلاثة فصول؛ الفصل الأول: التناص القرآني، الفصل الثاني: التناص الإنجيلي، الفصل الثالث: التناص التوراتي، ونلاحظ هنا أن الحوار عن التناص القرآنى في شعر شوقى لم يكن أمرًا جديدًا، وإنما الجديد هو الدخول إلى أعماق الإنجيل والتوراة للاستعانة بنصوص منهما لتكوين نصوص إبداعية تحمل تلك القدسية، فمن النص الإنجيلى نلاحظ أن شوقى شديد التأثر بصورة الفداء، والعذاب، والصلب، ومريم، ويوسف النجار، وهي من أهم أحداث وشخصيات الرسالة المسيحية، وإن كانت هذه هى السهام التى وجهت لشوقى نقدًا فكانت – بالنسبة للباحثة – ركيزة خادمة لموضوع البحث، فضلاً عن أن الجديد هنا كذلك تمثل فى التناص التوراتي، وإيجاد نقاط تناصية مع التوراة في العهد فوجودها – ولاشك – توثيق لهذا الفكر العقائدى، حيث استدعى شخصيات مثل "يشوع – شمشون"، واستدعى مضمون (الوصايا – المزامير) استدعى أسماء (التوراة – الهيكل)، فكانت الاستدعاءات التوراتية دليلاً جديداً على ما ذهبت إليه الباحثة في فكر شوقى العقائدى.

– خاتمة وتضمنت أهم النتائج التى توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة.

– ثبت للمراجع والمصادر العربية والأجنبية والالكترونية التى اعتمدت الباحثة عليها في الدراسة.

التمهـــــــــــيد

- مفهـــــــــوم العقيـــدة. – مفهـــــــــوم الديـــــن.
- فلسفة الدين عند شـــوقى. – في أوضـــاع المجتمـــــع.

العقـــيدة :

مهما يكن تقدُّمنا فى العصر الحديث فى شتى المجالات، فإنَّ عقولنا – بصرف النظر عن هويتنا – فى أوقات السكون تراودها من وقتٍ لآخر مجموعة من الأسئلة المتعلقة بأمور الحياة، والموت، والكون، وما بعد الموت.

هذه الأسئلة فرضت نفسها على كل البشر، وأخذت كل جماعة تحاول أن تبحث لها عن إجابات، صحيحةً كانت أم خاطئةً، مقنعةً كانت أم غير مقنعةٍ، مما يساعدها أن تكوِّن من خلالها اعتقادًا؛ إذ لا توجد جماعة دينية لم تبحث لها عن عقيدة تدين بها.

ويُعد المفكر الفرنسى "جوستاف لوبون" من أبرز المهتمين بدراسة مفهوم العقيدة وما يتعلق بها من حيث : تعريفها، وعوامل تكوينها وخصائصها وأثرها فى بناء الحضارة، حيث يرى أنَّ العقيدة "هى إيمانٌ ناشئ من مصدر لا شعورى، يُكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل، ولذلك تكون العقيدة مطابقة للواقع حينًا وغير مطابقة له فى كثير من الأحيان، فهى إيمان لا شعورى يفرض نفسه على المرء، وله من القوة بحيث يبعث على الاعتقاد فى شىء ما دون أن يعتمد هذا الاعتقاد على برهان أو دليل"(١)

ولاشك أنَّ التركيز على عنصر اللاشعور فى مفهوم العقيدة يستلزم تأخير العقل فى المرتبة، ولهذا فرَّق لوبون بين معنى العقيدة من ناحية، ومعنى العلم من ناحية أخرى، فالعقيدة – عنده – إحساس غامض لا ينشأ عن دليل، وله قوة الإلزام فى الاعتقاد، أمَّا العلم أو المعرفة فمصدره – تحديدًا – هو العقل، ويقرر " لوبون "

(١) الآراء والمعتقدات، ص٨٦ ، جوستاف لوبون، ترجمة محمد أمين المصرى، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٨م.

أنَّه لو حاول شخص أن يؤيد عقيدته بعد تكوينها – فعلاً – بأدلة العقل وبراهينه فإنَّ العقيدة لا تبقى فى هذه الحالة عقيدة، بل تنقلب إلى معرفة أو علم " فالعنصر المميز للعقيدة – عنده – هو إقصاء العقل وإلغاء دوره وتأثيره فى عملية الاعتقاد، وفى ضوء اعتقاده هذا فسَّر ظاهرة العقائد الخرافية واللامعقولة التى يدين بها أمم شتى، فمع غيبة العقل تستبد الأحاسيس – الصحيحة أو غير الصحيحة – بالشخص المعتقد وتُملي عليه أوهامًا أو أخيلة تفرض نفسها على قلبه ووجدانه.

والعقيدة بهذا المفهوم – أشمل وأعم من الدين، فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأنَّ حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شىء لا يقع على سمعه ولا بصره، إنَّما هو معنى إنسانى روحانى اسمه العقيدة، فالإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، ذلك الباطن الكامن فى أعماقه يمكن أن نطلق عليه عقيدته، سواءٌ أكانت عقيدة ذاتية أم عقيدة جمعية.

وقد طابق التعريف اللغوى العربى للعقيدة هذا المفهوم حيث نلاحظ أن المعنى اللغوى للفظ (العقيدة) يدل على ثبوت الاعتقاد فى القلب وتمكنه منه، بغض النظر عن منشأ هذا الاعتقاد اعتقادًا حقيقيًا أو اعتقادًا باطلاً (من الناحية الدينية) فإنه يسمى عقيدة فى العرف اللغوى.[١]

فالعقيدة فى معناها اللغوى مأخوذة من مادة عقد بمعنى : ربط أو شدَّ أو عزم، سواء تعلق معنى العقد أو الربط بأشياء مادية أو أمور معنوية، فيقال: عقد الخيط بمعنى: أحكمه وربطه وشده ويقال : عقد قلبه على كذا بمعنى اعتقده وصدَّق به ويستشهد على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : " الخيل معقود بنواصيها الخير." أى ملازم لها ومشدود إليها.[٢]

وعلى هذا يكون المعنى اللغوى يدل على ثبوت الاعتقاد فى القلب وتمكنه منه، إذ إنَّ أصل الاشتقاقات من " العقد " بمعنى الأحكام والتوثيق والتأكيد، فإذا

---

(١) الآراء والمعتقدات، ص٨٨

(٢) راجع لسان العرب، ص٣٩٨، ابن منظور، جـ٣، مادة عقد، راجع صحيح البخارى، جـ١٤، ص١٤٣، كتاب القيامة باب " الخيل معقود بنواصيها الخير ".

قيل : انعقد قلبه على الإيمان بقضية ما، أفاد ذلك ثبوت هذه القضية فى قلب المعتقد وتمكُّنها فيه بصورة لا تقبل التشكيك، بغض النظر عن منشأ هذا الاعتقاد ومصدره، وهذا ما ذهب إليه جوستاف لوبون.

أمَّا المعنى الاصطلاحى للعقيدة فقد مال إلى الربط الكامل بين مفهوم العقيدة ومفهوم الدين، بل كاد أن يطابق بينهما فى بعض التعريفات، فالعقيدة : " هى ما يجب اعتقاده على المكلف لوجوب وجوده تعالى ووجوب قدرته "[١]

حيث ذهب علماء العقيدة إلى أنَّ الاعتقاد والعلم والمعرفة كلها بمعنى واحد لا فصل بين كل منهم، كما عرَّفوا العلم بأنَّه : " الاعتقاد الجازم المطابق للواقع "[٢]

والعقيدة – بهذا المعنى عند علماء العقيدة – لا تنطبق إلا على العقيدة الصحيحة من وجهة نظرهم، ولابد فيها – عندهم – من شرط الجزم والثبات فى المعتقد حتى تتميز عن حالات الشك والظن والوهم، كما يشترط فيها صحة الاعتقاد، وهو ما يعبرون عنه "بمطابقة الواقع" أى مطابقة الاعتقاد للحقيقة، وهو شرط يميزها – من وجهة نظرهم – عن المذاهب الباطلة التى يدين بها كثير من الناس.

وأيًا كان الأمر فإنَّ العقيدة أعمُّ وأشمل من الدين؛ لأنَّها تقوم على المعتقد الذى يؤمن به الإنسان بصرف النظر عن جنسه أو فكره أو دينه، وقد يكون هذا المعتقد دينيًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا أو أى شىء، المهم أن يدل على ثبوت الاعتقاد فى القلب وتمكنه منه صحيحًا كان أم خاطئًا.

والعقيدة فى شعر شوقى هى ما ترسَّخ فى النفس اعتقادًا وإيمانًا ويقينًا، وما ينتج عن هذا الترسيخ من سلوك فردياً كان أم جماعياً؛ فها هو يرثى عبد العزيز

---

(١) أشرف المقاصد فى شرح المقاصد، ص٨، التفتازانى، جـ١، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

(٢) كتاب التعريفات، ص١٦٠، الشريف الجرجانى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.

جاويش فيربط بين إيمانه وفكره بإيمان وفكر كل من الزعيم مصطفى كامل والزعيم محمد فريد فيقول :

فيـــا لَكَ قبـــرًا أَكـــنّ الكنـــوزَ وسَـاجَ الحقـوقَ، وحاط العهـود
ثَـــلاثُ عـــقائـــدَ فـــى حفـــرةٍ تـــدُكُّ الجبـــالَ، وتُـــوهِـــى الحديد
قعَـدنَ فكُـنّ الأَســاسَ المتيـنَ وقـــام عليـــها البنـــاءُ المَشِـــيد[1]

هذا الفكر الراسخ فى وجدانهم تجاه القضية الوطنية هو عقيدتهم التى قامت عليها البناء المشيد فلولا إيمان صادق تغلغل فى أعماق كل منهم ما تكونت العقيدة المحركة لهم ولسلوكهم والتى حركت بعدها مجتمع بأكمله، فالعقيدة لا تبنى سلوكاً فقط، وإنَّما هى الأساس الذى يحمل البناء، وإذا كان لكل هرم قاعدة فقاعدة أى بناء هى العقيدة المستمدة من الإيمان والقناعة التامة بالشىء، وفكر الرجل أو رأيه إذا أخلص فيه هو العقيدة :

والرأىُ إنَ أَخْلَصْتَ فيـه سـريرةً مثـلُ العقيـدة فـوقَ كلِّ مِـراءِ[2]

والعقيدة إذن ليست إيمانًا دينيًا فقط، فالعقيدة الدينية هى جزء من مجموعة عقائد مكونة للنفس تتكاتف جميعاً لتكوين شخصية إن صدقت عقيدتها وأخلصت لها كانت محركاً لمجتمع كامل تكوَّن من تلك العقائد، ولذلك اعتبر شوقى العقيدة هى المحرك للخُلق الجماعى:

ومَـنْ طـلب الخُـلْقَ من كنـزه فـإن العقيـدةَ كنـزُ عَتيـد[3]

فأيًا كانت العقيدة فهى الكنز الذى تبنى به الشعوب حضارتهم والصدق والإخلاص لها هو الخُلق الذى يشكل المجتمع، والذى يميز شعب عن شعب وحضارة عن أخرى.

ولا نجد شوقى يتحدث عن الدين أو العقيدة الدينية إلا وكان التوحيد أصلها، والأصل يتفرع منه الفروع فلا نجد روحًا موحدة إلا وتتآلف مع الأخرى

---

(١) الشوقيات جـ٣ ، ص٦٦

(٢) الشوقيات جـ٣ ، ص٦

(٣) الشوقيات جـ٣ ، ص٦٦

حتى لو اختلفت معها فى المذهب أو التشريع، وهذه الروح نجدها وهو يخاطب الخليفة محمد رشاد الخامس الذى نجح بعقيدته فى بث الروح فى الأمة الإسلامية:

يَفــديكَ نصرانُيــه بصليبـــــــه والمنتمـى (لمحمـدٍ) بهلالــه
وفتى الدروزِ على الُحزُون بشيخه والموسَـوىُّ على السهولِ بمالـه
يجــدون دولتَــك التى سَـعِدوا بها من رحمِة المولى، ومن أفضالـه
جــدّدت عهـد (الراشدين) بسيرةٍ نسجَ (الرشادُ) لها على مِنوالــه[١]

مفهوم الدين :

قد يظن بعض الناس أن شيوع اللفظ قد يكون معينًا فى فهم المصطلح، والواقع يفرض عكس ذلك، لأنَّ انتشار الظاهرة الدينية فى جميع المجتمعات البشرية وملازمتها للإنسان يجعل الأمر أكثر صعوبة، إذ كيف نصل إلى تعريف محدد للدين يستطيع أن يشمل العناصر الهامة فى الديانات جميعاً لا يُبعد شيئًا ولا يطرد شيئًا، ولعل هذا ما ذهب إليه " وليم جيمس " Wiliam James (١٩١٥ – ١٩٤٢) فمن غير الحكمة وضع تعريف للدين، ثم المضي للدفاع عنه فى وجه كل الاعتراضات، وبرغم ذلك اختار وليم جيمس أحد معانى الدين قائلاً : " الدين الذى أعنيه هنا، هو أحاسيس وخبرات الأفراد فى عزلتهم وما تقود إليه من تصرفات، وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلهًا." [٢]

وكلمة الدين Riligion فى اللغات الأوروبية مشتقة من الكلمة اللاتينية Religare أو Religio بمعنى يربط أو يصل أو يجمع، ولهذا كانت الكلمة تعنى العلاقة، فالدين عند الغربيين هو الرابط الذى يصل الإنسان بالله، أو هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية، أو هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو

---

(١) الشوقيات جـ١ ، ص ١٥٨

(٢) الدين، ص٣٥٤، وليم جيمس، ترجمة محمد على العريان، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٦٥م.

نفسه، أو هو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية، أو هو الإيمان بكائنات روحية، أو هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، أو هو العبادة، والعبادة عمل مزدوج، فهى عمل عقلى فيه يعترف الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبى أو انعطاف محبة، يتوجه به إلى رحمة تلك القوة، أو هو توجيه الإنسان سلوكه وفقًا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها، أو هو تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الدينى هو شعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائى فى الكون، أو هو جملة العقائد والوصايا التى يجب أن توجهنا فى سلوكنا مع الله ومع الناس، وفى حق أنفسنا أو هو محموعة التورعات التى تقف حاجزًا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا، أو هو مجموعة متساندة من المعتقدات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، اعتقادات تضُم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة. (١)

ومعظم هذه التعريفات لمفهوم كلمة " الدين " أحادية الجانب، فجميعها يهتم إمَّا بعلاقة المخلوق بالخالق، أو يهتم بالجانب المتمثل فى أخلاقيات الإنسان ومشاعره وعواطفه، وهى بذلك أميل إلى تعريف الدين السماوى المستند على الوحى الإلهى، ولا تستطيع هذه التعريفات – رغم دقتها – أن تشمل الديانة الطبيعية المستندة على محض العقل، أو الديانة الخرافية التى هى وليدة الخيالات والأوهام، أو الديانة التى تقوم على عبادة الكواكب أو الحيوانات والنبات، أو ....، فهل تستطيع أن تطلق على تلك المعتقدات كلمة " دين " ؟

القرآن نفسه سماها دينًا حين قال : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ [آل عمران: ٨٥]

والمفهوم العربى لكلمة الدين فى معاجمنا العربية يكاد يجمع على أن معنى الدين هو الطاعة والانقياد، فهو اسم لجميع ما يُعبد به الله، حيث يرى ابن

(١) لسان العرب، ص١٤٦٧:١٤٤٩، ابن منظور، المجلد الثانى (دين)، دار المعارف، القاهرة.

منظور أن كلمة الدين تعنى : " الديان من أسماء الله عز وجل معناه الحكم القاضى، والديان القهار، والديان هو فعَّال من دان الناس، أى قهرهم على الطاعة، ويوم الدين هو يوم الجزاء والجمع الأديان، والدين الإسلام، والدين العادة أو الشأن، والدين السلطان، والدين الحال، والدين الورع والطاعة "[١]

وجملة القول فى المعانى اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، ويخضع له فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمرًا وسلطانًا وحكمًا وإلزامًا، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذى يعبر عنها، وهذا ما دعى محمد عبد الله دراز إلى القول بأنَّ المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد :

فإنَّ الاستعمال الأول : الدين هو إلزام الانقياد.

وفى الاستعمال الثانى : هو التزام الانقياد.

وفى الاستعمال الثالث : هو المبدأ الذى يلتزم الانقياد له.[٢]

الكلمة إذن : فى المفهوم العربى تعطينا الجانب الموضوعى والجانب الذاتى، كما تعطينا الرابطة بينهما، ودلالاتها تعود إلى ثلاثة معانٍ :

١- دانه دينًا: قصدنا بذلك ملكه وحكمه، والمعنى هنا يدور حول : الملك والتصرف والقهر.

٢- دان له: أردنا هنا أطاعه وخضع له، والدين هنا يدل على الخضوع والطاعة والعبادة.

٣- دان بالشىء : اتخذه دينًا، والدين هنا هو المذهب أو الملة أو العقيدة أو الاعتقاد.

وينقل الأصمعى عن بعض العرب قولاً طريفًا فقال : إنما فتح دال الدَين لأن صاحبه يعلو المدين، وكسرت الدال فى الدِين لابتنائه عن الخضوع، وقد علق

---

(١) الدين، ص٦٢، محمد عبد الله دراز.

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (دين)، ص١٣٣: ١٣٤، القاموس الفقى، سعدى أبو حبيب

محمد عبد الله دراز على ذلك بأنَّ أحدهما يتضمن فى الأصل إلزامًا ماليًا، والآخر يقتضى إلزامًا أدبيًا ومن سنن العربية فى تصاريفها، أنَّها حين تريد التفرقة بين الحسيات والمعنويات من جنس واحد قد تكتفى بتغيير يسير فى شكل الكلمة مع إبقاء مادتها كما هى مثل : "العَوج – العِوج" و" الخَلْق والخُلْق "[١]

وجملة القول إنَّنا يمكن أن نقول: إنَّ تعريف الدين يستلزم وجود علاقة بين طرفين، وتقوم فى جوهرها على التقدير والتقديس " سواء أكان الطرف المعظم (إلهاً) أو رمزًا لذلك الإله، هذا الرمز قد يكون جمادًا أو حيوانًا أو فكرة، كما أنَّ هذا التعريف ينطبق على الذين يجعلون من الدين سلوكًا أخلاقيًا.

و(الدين) مصدر، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع.

فلسفة الدين عند شوقى :

يرى شوقى أنَّ الإنسان لم يتوقف يومًا عن البحث عن أسرار الكون، ومعرفة مصدره ومصيره، وفى كل حالاته يتلهف إلى معرفة خالقه، من أين ؟ وإلى أين ؟ وكان هذا هو المحرك الذى دفعه لمعرفة الحقيقة، ودفعته ملاحظته لما يحيط به، وحيرته فيما لا يدركه من حوله إلى التدين ليدفع عن نفسه الضر أو يجلب لها الخير.

ربِّ شُقتَ العبادَ أزمانَ لا كتـ ـبٌ يُهتـدَى بـها ولا أَنبيـاءُ[٢]

فكانت مظاهر الطبيعة الداعى الأول فى رحلة البحث عن الإله، وكان الناس فى ذلك فريقين ذهب الأول منهم إلى " أنَّ الذى دفع الإنسان للتدين هو التعظيم للطبيعة من حوله الناتج عن التأمل فيها وذلك لأنَّ الطبيعة لها قدرة خاصة مستقلة عن الإرادة البشرية واكتشافهم أنَّه لا سلطان لهم عليها، أمَّا الفريق الثانى فكان الباعث عنده هو الخوف من الطبيعة، وجاء هذا الخوف من الظواهر المفاجئة

---

(١) الدين، ص٦٢، محمد عبد الله دراز.

(٢) الشوقيات جـ١ ، ص ٢٣